

الدين وجماليته في التربية الروحية عند فريد الأنصاري

**The goodness of the Religion and the spiritual education
according to Farid EL ANSSARI**

د. حسين بن مصطفى*

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قسم العلوم الإسلامية - الجزائر،

benmo_ho@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019/03/01

تاريخ الاستلام: 2018/07/17

ملخص:

يتناول هذا البحث بالشرح والتحليل مفهوم الجمالية عند العلماء والباحثين، كما تطرق إلى مفهوم الدين من منظور الشرع، وكذلك من منظور اجتماعي ومعرفة أبرز أشكاله عند الممارسين له من المجتمعات ثم يعرج على بيان جمالية الدين الإسلامي عند فريد الأنصاري من خلال ركنين أو رئيسين؛ هما: ركن التدبر في الكون المنظور؛ وهو الطبيعة الفسيحة وما فيها من مخلوقات في غاية الإبداع تنير العقل والوجدان، وركن التدبر في الكون المسطور؛ وهو القرآن الكريم الذي وضع له فريد الأنصاري عدة قواعد لتدبره وارتقاء الروح بمعانيه السامية منها: منهج التلقي، وتخيّر أحسن الأوقات لقراءة القرآن.

الكلمات المفتاحية: الجمالية؛ التربية الروحية؛ فرد الأنصاري؛ التدبر.

Abstract:

This research explains with details "the aesthetic concept" in according to the religious scholars and researchers. It also tackles the concept of religion from both ALSARA' and the social point of view and knowing its major types by its users in different societies. In addition to this it shows clearly the artistic side of the Islamic religion practiced by Mr. FARID AL-ANSARI through out two major pillars.

The first one is about the reflection in the out side universe with its adorable nature and its great creatures which provoke both mind and conscience. And the second one is about the reflection on the Holly Quran. FARID AL-ANSARI has put many rules and principals in order to reflect and to get transcendental with its high values such as how to learn it correctly(listening, imitation, storing, and memorizing) and how to choose the best and the most appropriate time to read it.

Keywords: the aesthetic concept ; spiritual education ; FARID AL-ANSARI; the reflection.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فإن من أبرز سمات وخصائص الدين الإسلامي التي قد يغفل عنها الكثير من الباحثين والدارسين والدعاة؛ الجمالية، ويقصد بها إبداع الخالق سبحانه في خلق الكون، وإبداعه في كلامه المتمثل في القرآن الكريم الذي يعد آخر نداء للبشرية للتمسك بحل الله المتين.

ومن أشهر العلماء المعاصرين الذين اعتنوا ببيان هذه الجمالية في التربية الروحية للمسلم للارتقاء به إلى مقام الإحسان؛ الإمام فريد الأنصاري المغربي (ت.2009م) من خلال كتبه الفريدة في بابها والبديعة في طرحها التي جعلها في سلسلة حملت عنوان "من القرآن إلى العمران".

ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على بعض كتبه التي أبرزت جمالية الدين في التربية الروحية للمسلم، وهي "ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله" و"جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح".

فما هي مسالك إدراك جمالية الدين عند فريد الانصاري؟ وما أثر ذلك على المسلم؟

وإجابة على تلك التساؤلات عازمت على إنجاز هذا البحث الذي وسمته "الدين وجماليته في التربية الروحية عند فريد الأنصاري"، وجعلته في مطلبين اثنين؛ أحدهما عرفت فيه بمصطلحات البحث، والآخر تطرقت فيه إلى مسالك إدراك جمالية الدين للارتقاء بروح المسلم إلى مقام الإحسان وحصرته في مسلكين اثنين هما التدبر في الكون المنظور والتدبر في الكون المسطور.

المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث:

قبل البدء في شرح حقيقة جمالية الدين عند فريد الأنصاري، جدير بنا أن نعرف بمصطلحات البحث، لذلك نبدأ بمصطلح الجمال، ونعطف عليه مصطلح الدين، ونعرفهما لغة واصطلاحاً على النحو التالي:

الفرع الأول: تعريف الجمال لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الجمال لغة: الجمال مصدر الفعل جمل يجمل، وقد اتفقت معاجم اللغة العربية على أن الجمال معناه: الحُسن الكثير واجتلاب البهاء، وهو ضد القبح، وفيما يلي نصوص منتخبة تدل على تلك المعاني:

"الجمال: الحسن الكثير، وهو مصدر الجميل، وهو ما يتجمل به ويتزين، وهو ضد القبح، والفعل منه: جمل يجمل، يقال: جمل ككرم فهو جميل وجُمال وجُمَال بالضم والتشديد على التكثر؛ أجمل من الجميل، وجَمَلَه: أي زَيَّنه، والتجمل: تكلف الجميل، وامرأة جملاء جميلة وهب التي تأخذ ببصرك على البعد، والتجمل: زيادة شيء على الأصل، ويقال: أجملت في الطلب؛ رفقت"¹

"وقد جمل الرجل بالضم والكسر جمالاً فهو جميل، وتَجَمَّلَ تَجَمُّلاً؛ تَزَيَّنَ وتَحَسَّنَ؛ إذا اجتلب البهاء والإضاءة"².

"الحسن في الأصل في الصورة ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصورة"³

فنلاحظ من خلال النصوص المنتخبة أن الجمال يستعمل للأشياء المعنوية كالأخلاق والصفات الحسنة، كما يستعمل في الأشياء المادية كجمال صورة الإنسان وغيره.

¹ لسان العرب لابن منظور، مادة (جمل) 126/11، ومقاييس اللغة لابن فارس، مادة (جمل) 481/1.

² المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، 450/7.

³ الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص163.

وجدير بالذكر أن مادة "جمال" في اللغة العبرية بمعنى النضج والانقطاع، وبمناسبة هذا المعنى أطلقت على الجمل لنضجه في حياته وصبره وتحمله الشدائد واستقامته في إتمام عمله وسيره، ثم استعملت في العربية بمعنى ما اجتمع فيه النضج والتناسب والنظم، وهذا الجمال إما من جهة الصور والأشكال كالجمال الظاهري، فإن الجمال هو التناسب والاعتدال في الأعضاء، وإما من جهة المعاني كالصبر وغيره من طيب الأخلاق المعنوية، فجمال النفس هو اتسامها بصفات متناسبة ومعتدلة¹.

ثانيا: الجمال اصطلاحا: عند البحث واستقصاء ما ذكره العلماء عن ماهية الجمال، فإننا نجد بعضهم يربطه بالمعنى اللغوي؛ إذ يقول المناوي بأنه: "رقة الحسن، وهو قسمان؛ جمال مختص بالإنسان في ذاته أو شخصه أو فعله، وجمال يصل منه إلى غيره"².
فقد بين هذا التعريف أن الجمال نوعان:

جمال خاص مرتبط بالإنسان بحد ذاته في أبعاده النفسية والروحية والجسدية والاجتماعية، وجمال عام خارجي يعبر عن آراء هذا الإنسان حول ما يحيط به من ظواهر جميلة في العالم الخارجي³.

وعرفه الفارابي بقوله: "هو تحقيق القيم الحيرة في الأشياء الجميلة من خلال بنائها وترتيبها"⁴.
كما نجد من يقرّ بصعوبة إدراك الجمال إذ يقول نصر حامد أبو زيد: "فإن إدراك الجمال غير متيسر تماما للإنسان، ولا يدرك الجمال إلا من قبل أصحاب العقول وينال قبولهم"⁵.

¹ ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم لحسن المصطفوي، 129/2.

² التوقيف على مهمات التعريف للمناوي، 251/1.

³ القيم الجمالية عند أبي حامد الغزالي لبوحيل عبد العزيز، ص 17.

⁴ الفارابي في حدوده ورسومه لجعفر آل ياسين، ص 186.

⁵ الاتجاه العقلي في التفسير لنصر حامد أبو زيد، ص 93.

والأمر نفسه أكدته مجموعة من الباحثين، فيقول صالح الشامي: "إن مفهوم الجمال قريب متداول يفهمه الجميع ويتعاملون معه، ولكن التعريف به بعيد المنال، وهذا ما دفع بعض الكتاب والفنانين إلى التصريح بذلك وبعده عن الإمكان"¹.

ويرجع سبب عدم ضبط تعريف الجمال إلى أن هذا الأخير غير قائم بذاته، بل قائم بغيره حيث يدركه الإنسان بما يراه في غيره من تصرفات وأفعال كما يكون في الأشياء المادية، وعليه فلا يمكن تحديده بالكم أو الوصف أو الكيف².

ومنهم من أضاف سببا آخر لعدم تحديد مفهوم الجمال؛ وهو اختلاف أذواق وتقديرات الناس للجمال ما جعل بعضهم يعرفه باعتبار ما يتركه في النفوس من آثار³.

الفرع الثاني: تعريف الدين لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الدين لغة:

جاءت كلمة "دين" في المعاجم اللغوية بعدة معان أهمها: الخضوع والانقياد والطاعة، والعادة والشأن، والحساب والتسليم في مقابل أمر ما، وفيما يلي نصوص منتخبة دالة على تلك المعاني:

قال ابن فارس: "دين أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذلّ، فالدين: الطاعة، ويقال دان له ديناً؛ إذا أصحب وانقاد وطاع، وقوم دين أي مطيعون ومنقادون، والمدينة سميت بذلك لأنها تقام في طاعة ذوي الأمر... فأما قولهم إن العادة يقال لها دين، فإن كان صحيحاً فإن النفس إذا اعتادت شيئاً مرت معه وانقادت له"⁴.

¹ الظاهرة الجمالية في الإسلام لصالح الشامي، ص 23.

² المرجع نفسه، ص 23.

³ المرجع نفسه، ص 24.

⁴ مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (دين)، 319/2.

وقال أبو منصور الأزهري عن أبي عبيد: "الدين: الحساب، ومنه: مالك يوم الدين، وقال غيره: مالك يوم الجزاء، ومنه: كما تدين تدان؛ أي كما تعمل تُعطى وتجازى، والدين أيضا العادة، مازال ديني وديني؛ أي عادي، قال أبو عبيد: دان نفسه أي أذلها واستعبدها، والدين لله من هذا؛ إنما هو طاعته والتعبد له"¹.

ويتبين من خلال النصوص السابقة الذكر أن معنى الدين في اللغة مقيد باعتبارين هما: الخضوع، وكونه مقابل أمر ما، أما مطلق الانقياد أو الجزاء أو غيرها فليس من الأصل، ومن لوازم هذا الأصل: العزة بعد الانقياد، وتحقيق الطاعة أو المعصية، والتثبت والاعتقاد².

ثانيا: تعريف الدين اصطلاحا:

إن الناظر في تعريف الدين عند العلماء والباحثين يجده يختلف باختلاف المجال الذي يدرس فيه؛ فمن الناحية الشرعية هو: "اتباع الإسلام الذي هو آخر الديانات السماوية، والانقياد لتعاليمه، فيأتمر لأوامره وينتهي بنواهي، فيؤمن ويعتقد اعتقادا جازما أن الخير في امتثال أوامر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكل الشرّ في ما نهي عنه"³.

ومن الناحية الموضوعية يعرف الدين على أنه نظام اجتماعي يقوم على وجود موجود أو أكثر أو قوى فوق الطبيعة، وعلاقة الإنسان بها تحت راية ثقافة معينة، لتصبح هذه الفكرة نمطا اجتماعيا خاصا وهذا يركز على ثلاثة عناصر رئيسة:

1- تصوير العالم المحسوس وما فوق الطبيعة مع تصوير الفوارق بينهما أو بين ما يشتملان عليه من موجودات، وبالتالي التفرقة بين ما هو مادي وما هو روحي.

2- آراء ومذاهب تقوم على رسم العلاقات بين العالم المادي والعالم العلوي، والواجبات والالتزامات المتبادلة بينهما، ومن ثم يشتمل كل دين على معتقدات كلية تسمى الإيمان، وعلى طقوس أي أعمال يمارسها الأفراد تجاه القوى العلوية.

¹ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، 14/240.

² ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، 3/310 - 311.

³ ينظر: الدين بين النظرة الشرعية والنظرة الموضوعية لعبد الحميد بن الشيخ، ص 154.

3- مجموعة من أنماط السلوك تهدف إلى جعل الأفراد يسبغون في انسجام مع قوى ما فوق الطبيعة ويخضعون للشواب والعقاب على ما يعملون في الدنيا والآخرة¹.

وجدير بالذكر أن للدين أشكالاً متعددة يعسر حصرها لتعلقها بوجود الإنسان على سطح الأرض منذ أزمان سحيقة، وعلاقة هذا الوجود بالظروف الاجتماعية والاقتصادية وكل ما ارتبط بهذه الظروف وأثر على حياته بأي طريقة، تجعله يحس بالضعف ويلتجئ إلى قوة غير طبيعية يسعى من خلالها إلى تحقيق مطالبه، وهذه الأشكال المتعددة نلاحظها خلال تطور البشرية عبر مختلف العصور².

المطلب الثاني: جمالية الدين ومسالك إدراكها عند فريد الأنصاري:

من أبرز مقاصد ديننا الحنيف، أن يجعل الإنسان يتعالى عن سفاسف الدنيا مقبلاً بكله على خالقه ويكتسب نفساً نقية طاهرة تحجبه عن مجانبة الطريق السوي، وقد رسم فريد الأنصاري لهذه الجمالية عدة مسالك لها أثر على روح الإنسان ونفسيته، تقتصر في هذا المطلب على مسلكين رئيسين هما التدبر في الكون المنظور، والتدبر في الكون المسطور، وتتلخص جمالية الدين عند فريد الأنصاري في الكون المسطور وهو القرآن الكريم والقرآن المنظور وهو الكون الفسيح، فقال عن ذلك: "ذلك أن الله جل جلاله قد فتح أمام البشرية معرضين فسيحين للجمال، معرضين دائمين يتنفسان الحياة وينبضان بالحس المتجدد؛ أولهما: هذا القرآن المجيد وما يتضمنه من حقائق إيمانية خالدة، تصل الإنسان بمنابع الجمال الحق ومصدر النور الأعلى، وثانيهما هذا العالم الطبيعي الكوني بما فيه من مخلوقات وفيوضات نورانية وتجليات روحانية خارقة لا تنتهي استعراضاتها أبداً؛ امتداداً من عالم الغيب إلى عالم الشهادة"³.

¹ ينظر: دراسة في سيكولوجية النصاب لرزق سند إبراهيم، ص. 270.

² ينظر: الدين بين النظرة الشرعية والنظرة الموضوعية لعبد الحميد بن الشيخ، ص 154.

³ جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح لفريد الأنصاري، ص. 03.

الفرع الأول: مسلك التدبر في الكون المنظور:

قبل الحديث عن مسلك التدبر في الكون المنظور، يستوقفنا فريد الأنصاري عند حقيقة مفادها أن جهل بعض الفلاسفة الغرب بالتراث العتيق للأمة الإسلامية وعدم اتساع مداركهم لحقيقة الدين الإسلامي جعلهم يحصرّون جمالية الدين في الاهتمام بالسمو العقلي دون السمو العاطفي والوجداني، حيث يقول: "ولقد قاد الجهل بالتراث الإسلامي أو العمى الصليبي بعضَ فلاسفة الغرب إلى حصر التجربة الجمالية الإسلامية في مجال الإدراك العقلي دون الإدراك الوجداني العاطفي، واتهم التجربة الإسلامية بالفقر الفني والجمالي، فأقل ما يقال عن مثل هذا الاتهام أن صاحبه جاهل بحقيقة الإسلام وقيمه الجمالية من جهة، وبتجربة الإسلام من جهة أخرى، أعني على المستوى الجمالي"¹.

يؤكد فريد الأنصاري أنه لكل موجود من موجودات الكون، وكل ما يحدث للإنسان من ابتلاءات هدفا وغاية جمالية تستحق التأمل والتدبر للوقوف على عظمة وحكمة الخالق، ومن ثم تقرير توحيد الألوهية بأن الله هو المتفرد في الخلق والإحياء والإماتة والضر والنفع؛ إذ يقول: "ما من جمال في هذا الكون إلا وهو رسالة ناطقة بمعنى معين؛ هو حكمة وجوده ومغزى جماليته، فليس جميلا لذاته فحسب، بل هو جميل لغيره أيضا، فعند التأمل في كل تجليات الجمال في الطبيعة تجد أنها تؤدي وظائف أخرى هي سر جماليته"².

وحرصا على بيان أهمية العقل في إدراك جمال خلق الله، يصرح فريد الأنصاري بضرورة التأمل والتدبر في مخلوقات الله من جبال وبحار ونجوم وغيرها تأكيد لما جاء في القرآن الكريم، فيضرب أروع وأجمل الأمثلة القرآنية الشاهدة على ذلك؛ فيقول: "ونفس الحقيقة الجمالية التي نراها في الطبيعة والجبال والبحار والنجوم، ما هي -رغم التصريح القرآني بجماليته في مقاصد الخلق- إلا مخلوقات تؤدي وظائف في سياق التدبير الإلهي للكون، ومن ذلك قوله تعالى على سبيل المثال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَيَّ ۚ﴾³، وقوله تعالى:

¹ جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح لفريد الأنصاري، ص. 13.

² المرجع نفسه، ص. 27.

³ سورة البقرة، 189.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾¹ مشيراً بذلك إلى أن وظيفة الأعمار والفلاك إنما هي إنتاج مفهوم الزمان؛ لتنظيم الحياة الكونية والإنسانية في أمور المعاش والمعاد مع أي مجال العادات والعبادات على السواء²

ونجد أن القرآن يخاطب العقل بأسلوب مقنع قائم على أدلة عقلية قاطعة تزيل الشك والغموض، وبالمنطق السهل الممتنع الموافق للواقع، والمتبع لجميع النصوص المتعلقة بالنشاط العقلي، نجد أن القرآن الكريم يدفع بالعقل إلى النشاط والحركة الفكرية باستعمال جميع ملكاته الذهنية، ويحيط نشاطه بجملة من الإشارات والتنبيهات والضوابط التي ينبغي للإنسان العاقل أن يراعيها وينضبط بها أثناء إعماله للعقل في قضايا الكون والحياة والإنسان، وهذه الضوابط هي عبارة عن مبادئ أو قوانين يسير وفقها العقل مثل مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض مبدأ الغائية³.

فدور العقل - في هذا الصدد - هو أن يفهم ما الذي يعنيه النص، وما مدلوله الذي يعطيه حسب معاني العبارة في اللغة والاصطلاح، وعند هذا الحد ينتهي دوره؛ إن المدلول الصحيح للنص لا يقبل البطلان أو الرفض بحكم من هذا العقل؛ فهذا النص من عند الله، والعقل ليس إلهًا يحكم بالصحة أو البطلان، وبالقبول أو الرفض لما جاء من عند الله⁴. وكل ذلك من أجل إثارة العقل التي تعد من أبرز وسائل تثبيت عقيدة المسلم، يقول ابن تيمية:

¹ سورة يونس، 05.

² جمالية الدين لفريد الأنصاري، ص. 28.

³ ينظر: المنهج القرآني في بناء العقيدة لسعيد قاسمي، ص 32.

⁴ ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، 206/2 - 207.

"فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة وهي شرعية دل عليها القرآن، وهدى الناس إليها، فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن ومخلوقاً من نطفة ثم علقه، فإن هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم، فهو إذن عقلي، لأنه بالعقل تعلم صحته"¹.

وجدير بالذكر أن جميع آيات القرآن بما فيها آيات الكون تؤكد بكل وضوح أن الجمال ليس أمراً عرضياً في بناء الكون، بل هو أمر مقصود².

ولا تقف آيات القرآن الكريم عند إثارة عقل الإنسان فحسب، بل إنها تثير أيضاً أحاسيسه ومشاعره ووجدانه، فإثارة الوجدان ما هو إلا ثمرة من ثمار إثارة العقل ما يعني وجود تكامل وتناسق بين إثارة العقل والوجدان.

ولا شك أن كل متتبع ومتأمل حق التأمل في آيات القرآن الكريم التي تذكر بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى على الإنسان، يجد أنها تنطق بكل معاني الجمال للخالق من إغداق النعم وحسن تصرفها التي تستوجب استشعار النفس عظمة الخالق، فتتهفو إلى الخضوع والتذلل في حضرة الله وشكره.

ومن يتأمل خاتمة الآية في قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³، سيملك العجب أيما تعجب، لأن المتبادر عند ذكر النعم الأمر بشكرها، فما قول ربنا سبحانه ها هنا "إن الله لغفور رحيم؟" لعل سبب ذلك أننا لو أمرنا بالشكر نصّاً في هذا الموطن لانقطعت دونه رقاب الخلائق؛ لأن من عجز عن إحصاء النعم، كان عن القيام بشكرها أعجز! وثمة لطيفة أخرى، وهو أن التوفيق إلى شكر نعمة نعمة جديدة تستوجب إحداث شكر آخر، وهكذا أبداً؛ فدل على دوام العجز لاتصال العطاء، فغفر أي ستر عجزنا، ورحم ضعفنا، سبحانه لا إله إلا هو الغفور الرحيم! .

¹ النبوات لابن تيمية، 45/1.

² الظاهرة الجمالية في الإسلام لصالح الشامي، ص 134.

³ سورة النحل، الآية 18.

وفي هذا من التسليم لحكمة الله البالغة وترقيق القلوب ما يستلزم التأكيد على أن ما في هذا الكون من موجودات ونعم كله مسخر لصالح الإنسان، وما على هذا الأخير إلا حسن التدبر بعقله فتتحرك مشاعر نفسه بكل صدق وإذعان إلى خالق الكون باستقامة الفطرة التي خلقه الله عليها.

الفرع الثاني: مسلك التدبر في الكون المسطور:

إن المتأمل في الكون المنظور وما فيه يجعل نفس الإنسان تنوق إلى كل ما يأتي من خالقه والتعرف عن قرب على جزيل أفضاله وعظيم نعمائه، ومن أعظم هذه الأفضال والنعم على الإنسان هو القرآن الكريم، الذي يعدّ آخر نداء من الله للبشرية، فاقترضت رحمة الله وعدله بين خلقه أن يبقى هذا الكون المسطور محفوظا ومتميزا عن غيره من الكتب السابقة. وقد عقد فريد الأنصاري لهذا المسلك قواعد رئيسة تنبئ عن عبقريته الفريدة وتشريه للمنهج القرآني في الارتقاء بالروح إلى التعرف على الله عز وجل، نبين هذه القواعد باختصار في ما يلي:

أولا: قراءة القرآن بمنهج التلقي:

المقصود بالتلقي عند فريد الأنصاري هو استقبال القلب لكلمات القرآن وآياته إما على سبيل النبوة أو على سبيل الذكر؛ إذ يقول: "وأما تلقي القرآن فهو استقبال القلب للوحي، إما على سبيل النبوة كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ... وإما أن يكون تلقي القرآن بمعنى استقبال القلب للوحي على سبيل الذكر"¹

ويشرح فريد الأنصاري هذا المنهج بأن يقبل المسلم على آيات ربه على أنها تنزيل؛ أي معتقدا أنها نزلت تخاطب كيانه ونفسه وتعالج ما يصيبه من أمراض نفسية؛ حيث يقول: "وتلقي القرآن بمعنى استقبال القلب للوحي على سبيل الذكر، إنما يكون بأخذه - فضلا عن كونه إنزالا - على أنه تنزيل، حيث يتعامل معه العبد ويتدبره آية آية باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حيا في عصره وزمانه، ومن هنا وصف الله تعالى

¹ ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله لفريد الأنصاري، ص. 76 بتصرف.

العبد الذي يتلقى القرآن بهذا المعنى بأنه يلقي له السمع بشهود القلب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾¹.

وبضيف فريد الأنصاري في هذا السياق أن من ثمار هذا المنهج في التدبر؛ أن يمثل المسلم معاني الآيات في أخلاقه وتعاملاته، وأنه يعالج حاجات النفس كما يعالج الدواء موضع الداء؛ فيقول: "أن تتلقى القرآن معناه إذن أن تصغي إلى الله يخاطبك فتبصر حقائق الآيات وهي تنزل على قلبك روحا، وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التخلق بالقرآن على نحو ما هو مذكور في وصف الرسول ﷺ لما سئلت زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه، فقالت أنه كان خلقه القرآن... معناه أيضا أن تنزل الآيات على مواطن الحاجة في قلبك ووجدانك، كما يتنزل الدواء على مواطن الداء"².

وبصرح فريد الأنصاري بضرورة تلاوة القرآن حق تلاوته لتحصل للقارئ مشاهدات وتحليات تعرج بنفسه إلى الآفاق؛ فيقول: "وإنما الذي يقرؤه ويتلوه حق تلاوته إنما هو الذي يرتفع به ويعرج به عبر معارجه العليا إلى آفاق الكون فيشاهد من جلال الملكوت ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"³، وحق التلاوة كما أشار ابن القيم؛ هو: "تلاوة اللفظ والمعنى، فتلاوة اللفظ جزء من التلاوة المطلقة وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع، يقال: اتل أثر فلان وتلوث أثره وقفؤته وقصصته بمعنى: تبعته خلفه، والمقصود التلاوة الحقيقية وهي تلاوة المعنى واتباعه تصديقا بخبره، وائتمارا بأمره، وانتهاء بنهيه، وائتماما به، حيثما قادك انقادت معه"⁴.

¹ سورة ق، 37.

² ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله لفريد الأنصاري، ص. 83.

³ مجالس القرآن لفريد الأنصاري، ص. 39.

⁴ مفتاح دار السعادة لابن القيم، 24/1.

وجدير بالذكر أن لحصول التدبير علامات مستوحاة من تتبع آي الذكر الحكيم؛ من أهمها: اجتماع القلب والفكر عند قراءته، وفيض العين من خشية الله، زيادة الخشوع والسجود تعظيماً لله، وزيادة الإيمان مع الفرح والاستبشار به، ووجل القلب خوفاً من الله عز وجل، فكل من وجد واحداً من هذه العلامات أو أكثر، فقد وصل إلى حال التدبير والتفكير بحسبه¹.

ثانياً: تخيير أحسن الأوقات لقراءة القرآن:

يرى فريد الأنصاري أن أحسن أوقات قراءة القرآن التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها إذا أراد حصول التدبير؛ وقت المساء؛ لكونه وقت الخلود للراحة بعد تعب وشقاء النهار؛ ولأنه يبرد فيه حر الشمس وتطول الظلال وتمتد؛ حيث يقول: "إن قرآن المساء وذكره كقرآن البكور له ذوق خاص عند الذاكرين المفتردين كما في كتاب الله، قال عز وجل: ﴿وَأَذْكُرُّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾²، فالغدو هو البكور من الصباح؛ أي أول النهار وبدايته، والآصال جمع أصيل، وهو كما في كتب اللغة والتفسير: وقت ما بين العصر إلى الغروب، فهو سويغات آخر النهار؛ حيث يبرد حر الشمس، وتهدأ أشعتها، وتلين أضواؤها، وتطول الظلال وتمتد، ولذلك كان من أجمل أوقا النهار"³.

وبعضد فريد الأنصاري رأيه بذكر أسباب اختياره لوقت المساء بأنه وقت حدوث معجزة نبي الله داود عليه السلام، حين شاركته الطيور والجبال الذكر والتسبيح؛ إذ يقول: "وفي هذا الوقت كانت معجزة نبي الله داود عليه السلام تتجلى في مجلس ذكره؛ حيث تجتمع إليه الطيور للذكر، قال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾⁴ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ⁵ وَالطَّيْرَ مَحْسُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ⁶﴾ وقال أيضاً:

¹ ينظر: هكذا عاشوا مع القرآن قصص ومواقف لأسماء بنت راشد الرويشد، ص. 19.

² سورة الأعراف، 205.

³ ميثاق العهد في التعرف إلى الله تعالى لفريد الأنصاري، ص. 108-109.

⁴ سورة ص، 17 - 19.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۚ﴾¹، ومعنى أوبي: سبّحي، والتأويب: الترجيع والترديد، فهي كانت ترجع معه وتردد التسبيح بوعيتها تسخيراً من الله لا بالصدى، فالعشي أو الأصيل وقت فيه أسرار عجيبة².

وأختم البحث بكلام قيم جدير بالتأمل لابن القيم حول الانتفاع بالقرآن حيث يقول: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوت وسماعه، والحق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب من هلك، على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾³، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتقاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من أول السورة إلى هاهنا وهذا هو المؤثر، قوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾، فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾⁴ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا أي حي القلب، وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام، وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب، قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب، وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمّله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي،

¹ سورة سبأ، 10.

² ميثاق العهد في التعرف إلى الله تعالى لفريد الأنصاري، ص. 110.

³ سورة ق، 37.

⁴ سورة يس، 69 - 70.

ووجد الشرط وهو الإصغاء وانتقى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر¹

الخاتمة:

بعد هذا العرض الموجز للبحث، نخلص للنتائج التالية:

من أهم مميزات الدين الإسلامي التي ينبغي للدعاة والعلماء والباحثين الاهتمام بها وإشهارها بين الناس؛ الجمالية بشقيها جمالية الصور والاشكال وجمالية المعاني والصفات والأخلاق.

إن فشل الكثير من الدعاة في إيصال رسالة الإسلام على أكمل وجه؛ هو تغييبهم للظاهرة الجمالية في الإسلام، خاصة ما تعلق بالجانب الروحي والصفاء الوجداني الذي له الأثر البالغ في تعلق المسلم بربه.

يعد فريد الأنصاري من العلماء الفريدين والمبرزين الذين اعتنوا عناية فائقة بجمالية الدين؛ حيث ظهر ذلك جليا في كيفية عرضه لمظاهر جمالية الدين التي حصرها في ركني التدبر في الكون المنظور والتدبر في الكون المسطور.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

¹ - الفوائد لابن قيم الجوزية، ص 17.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1- فريد الأنصاري، ميثاق العهد في التعرف إلى الله تعالى، فاس، مطبعة آنفو برنت، دت
- 2- ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق أبي عبد الرحمن زمري، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 1423هـ، 2002م
- 3- أسماء بنت راشد الرويشد، هكذا عاشوا مع القرآن قصص ومواقف، ط1، السعودية، مركز تدبر للدراسات الاستشارية، 1432هـ-2012م
- 4- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ، 1998م
- 5- فريد الأنصاري، مجالس القرآن، القاهرة، دار السلام، 1431هـ، 2010م
- 6- صالح الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ط1، بيروت، المكتب الإسلامي، 1407هـ-1986م
- 7- ابن تيمية، النبوات لابن تيمية، تحقيق عبد العزيز الطويان، ط1، السعودية، مكتبة أضواء السلف، 1420هـ-2000م.
- 8- فريد الأنصاري، مالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح، القاهرة، دار السلام، د.ت.
- 9- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط32، القاهرة، دار الشروق، 1423هـ، 2003م.
- 10- رزق سند إبراهيم، دراسة في سيكولوجية النصاب، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.
- 11- حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، د.ت.
- 12- أبي منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، ط1، الدار المصرية للتأليف، 1384هـ - 1964م
- 13- أبي الحسن بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق د. عبد السلام هارون، ط1، بيروت، دار الجيل، [1422هـ-1991م].
- 14- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، [1421هـ، 2000م].
- 15- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- 16- أبي هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق جمال عبد الغني، مدغمش، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1422هـ، 2002م
- 17- نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ط3، الدار البيضاء-المغرب، المركز الثقافي العربي، 1996م
- 18- جعفر آل ياسين، الفارابي في حدوده ورسومه، ط1، بيروت، دار عالم الكتب، 1405هـ، 1985م
- 19- المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، تحقيق عبد الحميد حمدان، ط1، القاهرة، دار عالم الكتب، 1410هـ، 1990م
- 20- سعيد قاسمي، المنهج القرآني في بناء العقيدة رسالة دكتوراه، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014م.

- 21- عبد الحميد بن الشيخ، الدين بين النظرة الشرعية والنظرة الموضوعية، مجلة دراسات اجتماعية، ع.15، 2014م.
- 22- القيم الجمالية عند أبي حامد الغزالي بوجيل عبد العزيز، رسالة ماستر، في قسم الفنون، كلية الآداب واللغات، تلمسان، 1438هـ، 2017م